جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

التعايش بين المسلمين وغيرهم في فترة السلطان صلاح الدين الأيوبي

(٥٦٩-٥٨٨هـ/١١٧٤-١١٩٣م)

مشروع بحث ممول من قبل عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية

إعداد

د/ أحمد بن علي بن عبد العزيز الربعي

قسم التاريخ، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة،
المملكة العربية السعودية

(العدد السادس والثلاثون)
(الإصدار الأول .. فبراير)
(١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م)

علمية- محكمة- ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

التعايش بين المسلمين وغيرهم في فترة السلطان صلاح الدين الأيوبي (٥٦٩-٥٨٨هـ/١١٧٤-١١٩٣م)

أحمد بن علي بن عبد العزيز الربعي

قسم التاريخ، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني:ahmed.987@gmail.com

الملخص:

يتلخص هذا البحث في عرض صورة من صور الرقي والتعايش والتسامح بين المسلمين وأهل الذمة والمجاورين وغيرهم، والتي تظهر تاريخ المسلمين الواقعي في هذا المجال، وأنهم استمدوا سبل التعايش من دينهم وعقيدتهم ، وكان التركيز على هذه الفترة المحددة نظراً للصراع الكبير بين المسلمين والصليبيين، وأنه وإن كان قائماً على أشده فهو لم يمنع سبل التعايش بين المسلمين وغيرهم في أحلك الظروف وأشدها، ولم تسلك هذه الحروب بالمسلمين سلوك الانتقام بمن حولهم ومن عاش في أكنافهم، ويتعدى الأمر أكثر من ذلك إلى استقبال المسلمين للمشردين والنازحين ومن جرت عليهم الحروب والتطهير العرقي من اليهود وغيرهم، وبيان بعض الصور لانعدام التعايش في البلاد غير الإسلامية في الفترة ذاتها.

الكلمات المفتاحية: التعايش- صلاح الدين- أهل الذمة- الحروب الصليبية- الفرنج.

Coexistence between Muslims and others during the time of Sultan Salah al-Din al-Ayyubi (569-588 AH / 1174-1193 AD)

Ahmed bin Ali bin Abdulaziz Al-Rabai

Department of History, Islamic University, Medina, Kingdom of Saudi Arabia

Email: ahmed.987@gmail.com

Abstract

This research is summarized in presenting a picture of sophistication, coexistence, and tolerance between Muslims, the people of dhimma, the neighbors, and others, which shows the real history of Muslims in this field, and that they derived the means of coexistence from their religion and belief, and the focus was on this specific period due to the great conflict between Muslims and the Crusaders, and that, although It was based on its strength, as it did not prevent the means of coexistence between Muslims and others in the darkest and most severe circumstances, and these wars did not take Muslims in the behavior of revenge against those around them and those who lived in their folds, and the matter goes beyond that to Muslims receiving the homeless and the displaced and those who were subjected to wars and ethnic cleansing of the Jews and others , and showing some images of the lack of coexistence in non-Islamic countries during the same period.

Key words : Coexistence- Salah Aldin- Dhimmis- Crusades- Franks.

موضوع البحث

التعايش بين المسلمين وغيرهم في فترة السلطان صلاح الدين الأيوبي

(٥٦٩-٥٨٨هـ/١١٧٤-١١٩٣م)

Coexistence between Muslims and others during the time of Sultan Salah al-Din al-Ayyubi

(569-588 AH / 1174-1193 AD)

مشكلة البحث

تقوم مشكلة البحث في رصد أوجه التعايش والتسامح في زمن كانت الحروب الصليبية قائمة.

أسئلة البحث

١ / هل كان هناك تمازج وتعايش بين المسلمين وغيرهم في فترة صلاح الدين الأيوبي.

٢ / ما مدى التعايش والتسامح القائم بين المسلمين وغيرهم.

٣ / هل كان التسامح مستمراً أم متقطعاً.

٤ / هل كان التسامح لمصالح خاصة ينتهي معها.

٥ / ماهي ردود الفعل لدى غير المسلمين جراء هذا التمازج المجتمعي.

٦ / أوجد المقارنة لدى غير المسلمين في قبولهم لتعايش المسلمين أو غيرهم معهم.

أهداف البحث

١/إبراز مشروع علمي تاريخي موثق من مصادره الأصلية في دراسة أوجه التعايش بين المسلمين وغيرهم.

٢/ إظهار الواقع التاريخي للمسلمين في قبول الآخرين.

٣/ بيان الفرق بين المسلمين وغيرهم في معاملة من يساكنهم.

٤/ إبراز دور صلاح الدين الأيوبي الإنساني في ذروة الأزمة الصليبية.
٤/ إظهار أثر المعاملة على نفوس غير المسلمين.
٥/ نشر النصوص التاريخية التي تثبت آراء غير المسلمين تجاه المسلمين خاصة في مصر والشام.

أهمية الموضوع

ترجع أهمية الموضوع في كونه يظهر جانباً من الرقي الحضاري لدى المسلمين في إظهار قيمة التسامح، وأنه وجه من وجوه الحضارة الإسلامية وسبل بنائها القائم على عدم الإقصائية في نظام شرعي محكم أبرزه لنا التاريخ المكتوب.

أسباب اختيار الموضوع

يرجع أسباب اختيار الموضوع لعدة عوامل منها:

١ / أنه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالأولوية البحثية الثالثة في برنامج حصانة وهي التعايش والتسامح مع غير المسلمين.
٢ / أن هناك من الكتابات العدائية من صورت التريخ الإسلامي بأنه تاريخ إقصائي لا يقبل الأطراف الأخرى.
٣ / التصور بأن فترة الحروب الصليبية خالية من أوجه التعايش والتسامح بين المسلمين والنصارى على وجه الخصوص.
٤ / نقل صورة ذهبية من العصر الأيوبي لا تخالف تعاليم الدين الإسلامي في المعاملة والاستفادة مع غير المسلمين.

المقدمة:

الحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فإن أنماط التعايش بين المسلمين وغيرهم في البلاد الإسلامية مرت بظروف متعددة، وأحوال مختلفة، على حسب الأزمان والأقطار، فشابها صفاء وكدر، وسكون وحرب، وألفة وعداوة، والأسباب تجري وراء ذلك كله، فيحرك السكون مغرضون، ويزيل البغضاء عقلاء، وتستمر الأحوال بين شد وجذب، وقد واكب هذا البحث في الزمان والمكان ظروف التعايش بمعناها الواقعي في عصر صلاح الدين الأيوبي، وأشير في هذا البحث إلى عناصره والتي تتكون من:

التمهيد: وفيه تعريف التعايش والتسامح وعلى من يكون، وأهل الذمة، ولمحة عامة عن عصر صلاح الدين الأيوبي.

المبحث الأول: التكوين السكاني لبلاد مصر والشام وجذورها.

المبحث الثاني: العلاقة بين المسلمين وأهل الذمة من سكان مصر والشام.

المبحث الثالث: علاقة المسلمين السياسية، والاجتماعية بأصحاب الإمارات الصليبية والمحاربين.

المبحث الرابع: أثر التعايش وتطوره.

التمهيد:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإن صور الرقي والتعايش والتسامح بين المسلمين وأهل الذمة والمجاورين وغيرهم، والتي تظهر تاريخ المسلمين الواقعي في هذا المجال لا تكاد تنحصر، وأنهم استمدوا سبل التعايش من دينهم وعقيدتهم، في وقت كانت الحروب مع الغزاة على أشدها، ولا بد قبل الحديث أن تتم الإشارة معنى التعايش والقصد به، فقد أكدت كتب اللغة أن **التعايش:** يقصد به الاتفاق على المودة والعطاء وحسن الجوار، فيقال: تعايش الرفيقان في غربتهما على الألفة، وتعايشت الدولتان تعايشاً سلمياً، وتم الاتفاق بينها على عدم الاعتداء(١).

وهو: تعبير يقصد به إيجاد جو من التفاهم بين الشعوب بعيداً عن النزاعات والحروب(٢).

والتسامح: لغة: الاتساع في الإعطاء، واطلاحاً: التساهل أو أن لا يعلم الغرض من الكلام ويحتاج في فهمه إلى لفظ آخر(٣).

---

(١) أحمد مختار عبد الحميد عمر، وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط١، عالم الكتب، القاهرة١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ج٢، ص١٥٨٣.

(٢) عبد الغني أبو العزم، معجم الغني، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، كلمة رقم٦٧٩٤ .

(٣) الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط٨، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص٣٥٧؛ المناوي: محمد عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، ط١، عالم الكتب، القاهرة ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص٩٦.

وأهل الذمة: أهل الكتاب ومن في حكمهم وهو عهد من الإمام أو ممن ينوب عنه بالأمن على نفوسهم وأموالهم نظير التزامهم بالجزية ونفوذ أحكام الإسلام(١).

وقد حقق المسلمون معنى التعايش تجاه مَنْ حولهم من غير المسلمين بصورة إجمالية كما تمليه عليهم تعاليم هذا الدين، وبما تسمو به نفوسهم تجاه من هو أضعف منهم ومن لهم المقدرة عليهم.

وقد شملت دولة صلاح الدين الأيوبي (٥٦٩-٥٨٨هـ/١١٧٤-١١٩٣م) الممتدة من الجزيرة الفراتية شمالاً مروراً ببلاد الشام إلى مصر، وأجزاء من الجزيرة العربية، حيث تضم هذه الأرجاء المترامية أجناساً مختلفة الديانات إلى جانب السواد الأعظم من المسلمين، ففيهم اليهود، والنصارى، والصابئة، وأفراداً من غيرهم، ونظراً لأن سلطنة صلاح الدين تحيط بها الممالك الصليبية فمن المنتظر أن يتعامل مع أهل الذمة وخاصة النصارى بحذر إن لم يتم إخراجهم، لكن الأحداث شهدت العكس بالتعامل والإحسان والعفو والتعايش الأمثل كما تدل عليه النماذج التي رصدها المؤرخون.

وجاءت صور هذا التعايش متعددة في عصر صلاح الدين الأيوبي والذي يمتد حوالي تسعة عشر عاماً، فآوت دولته الذين شردتهم الحروب واستعمل المسلمون ذوي الصنعة من غيرهم كالأطباء والتجار وأصحاب المهن الحرفية، وتصور لنا الأحداث أنهم ربما رافقوا جيوش صلاح الدين المتجهة للحرب، ويشير المؤرخ ديورانت إلى ذلك بقوله: (ولقد كان صلاح الدين، في ثورة الحرب

(١) محمود عبد الرحمن عبد المنعم، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، دار الفضيلة، القاهرة(د.ت)، ص٣٣١.

الصليبية وحدتها وما أوجدته في النفوس من أحقاد، كريماً رحيماً بمن في دولته مع المسيحيين) [١].

ولما أصبح بيت المقدس بيد المسلمين سأل النصارى صلاح الدين الإقامة فيه وبذل الجزية وأن يدخلوا في أهل الذمة فأجيبوا إلى ذلك[٢]، وكان استخدامهم في الوظائف مع وجود الحرب لم يتوقف فكاتب زوجة صلاح الدين مثلاً يهودي[٣]، واستخدم صلاح الدين بعض النصارى ضد العدوان الصليبي وضد المؤامرات التي حاولت الإطاحة به وإعادة المجد العبيدي[٤].

وتجدر الإشارة إلى أن هذه المعاملة قد يطرأ عليها بعض التغير في مواضع وأماكن مخصوصة نظراً لطبيعة المرحلة، فتصور لنا الروايات أن صلاح الدين بعد عقد هدنة مع أمير الصليبيين بطرابلس سنة ٥٧٧هـ/١١٨٢م نودي بمنع أهل الذمة من ركوب الخيل والبغال، ولا يستثنى من ذلك طبيب ولا كاتب[٥]، ولعل هذا راجع تدابير أمنية وقتية تناسب الفترة المعنية لضمان تحقيق أهداف الهدنة.

---

(١) ويليام جيمس ديورانت، قصة الحضارة، تقديم وترجمة: محيي الدين صابر وزكي نجيب وآخرين، دار الجيل، بيروت، والمنظمة العربية للتربية والثقافة، تونس١٤٠٨هـ /١٩٨٨م،ج١٣، ص٣٦٧.

(٢)العليمي، عبد الرحمن بن محمد، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يونس نباتة، مكتبة دنديس، عمان، (د.ت)، ج١، ص٣٣١.

(٣) القفطي، علي بن يوسف، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص٢٣٩.

(٤) ابن الأثير، علي بن محمد، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ج٩، ص٣٩١.

(٥) المقريزي، أحمد بن علي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ج١، ص١٨٨.

وعلى صعيد المجتمع والعامة فإن النصوص الواردة تكثر من ذكر أنماط التعايش وإن كان يشوبها المنافسة أو الحزم أحياناً فمثلاً تعطينا صورة طلب العلم مثالاً لذلك حيث أن الطبيب رضي الدين الرحبي(١) الذي كان بارعاً في علم الطب ودرس عليه طلاب كثر ومع ذلك فإنه يرفض أن يقرئ أحداً من أهل الذمة، ولم يتعلم عليه إلا اثنين منهم أصرا على الجلوس عنده والأخذ عنه، وكل منهم تميز وصار له باع في الطب(٢).

(١) الرحبي: رضي الدين يوسف بن حيدرة بن حسن الرحبي، طبيب شهير من أهل الرحبة، قدم إلى دمشق في سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م درس فيها وعالج المرضى، ولازم الطبيب المهذب ابن النقاش، وعمل طبيباً لدى صلاح الدين الأيوبي، وتوفي سنة ٦٣١هـ/١٢٣٤م، انظر: الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ج٢٢، ص٣٧١.

(٢) الذهبي محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام ووفيات الأعيان، تحقيق: عبدالسلام تدمري، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤١٣هـ/١٩٩٣، جـ٤٦، ص٩٠ و ٩١.

المبحث الأول: التكوين السكاني لبلاد الشام ومصر وجذورها.

لا يقصد بالتكوين السكاني حصراً على الفترة التي امتدت طوال سلطنة صلاح الدين الأيوبي، ولكن إلى جذور السكان وديانـاتهم ولا بد من العودة إلى الوراء، فلقد استقر العرب قديماً في بلاد الشام وذلك قبل الميلاد بزمن بعيد، وتأسست فيها حضارات من أشهرها: حضارات الأكاديين(١)، والآراميين(٢)، وغيرها، ثم خضعت في فترة من الفترات للإمبراطورية الفارسية، وللإسكندر المقدوني، ثم اجتاح الرومان الشام قريباً من سنة ٦٤ ق.م، واستمرت جزءاً من الإمبراطورية البيزنطية حتى بداية الفتح الإسلامي لبلاد الشام حيث كانت بصرى(٣) أول مدينةٍ شاميةٍ يفتحها المسلمون، ثم دخلوا بعد ذلك دمشق سنة ١٤هـ/٦٣٥م، ودات معركة اليرموك الفاصلة سنة١٤هـ، دخلت بعدها مدن الشام

(١) الأكاديون: أو الأكديون: فرع من هجرات سامية متوالية تكاثرت أعدادها في بوادي العراق والشام قبل منتصف الألف الثالث ق. م، ثم تفرعت في الشام، واتجهت جماعات إلى الهلال الخصيب في سوريا، كما كان منهم من سكن منطقة الفرات بالعراق، انظر: عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم في مصر والعراق، مكتبة دار الزمان، المدينة المنورة، (د.ت)، ص ٤٠٩ .

(٢) الآراميون: جماعة سامية هاجرت من شبه جزيرة العرب حوالي منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، ثم استقروا في أواسط الفرات، وسوريا وعموم بلاد الشام، وتفرع منهم الكلدانيون، انظر: محمد أبو المحاسن عصفور، معالم حضارات الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، لبنان ١٤٠٨هـ /١٩٨٧م، ص١٦٦.

.

(٣) بصرى: بلدة قريبة من دمشق، تقع بحوران ، انظر: ياقوت، ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، ط٢، دار صادر، بيروت ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ج١، ص٤٤١، وج٢، ص٥٠٠.

تحت راية الإسلام ابتداءً بحماة ثم حمص وحلب، وامتد إلى الرها[١] ونصيبين[٢] وأصبحت سواحل المتوسط إسلامية، وكان أهل البلاد من الروم والعرب المتنصرة قد بقي جزء منهم على دينه، ولم يُكره أحد ممن قبل الجزية على الإسلام، بل إنه لما فتحت دمشق وتولى قسم منازلها بين المسلمين سبرة بن فاتك الأسدي[٣]، فكان يُنزل الرومي في العلو ويُنزل المسلم في السفل لكي لا يضر المسلم بالذمي[٤].

ومثل الشام فلسطين التي كانت للكنعانيين[٥] ثم آلت إلى بني إسرائيل بقيادة داود عليه السلام، ثم خلفه ابنه سليمان عليه السلام، وأسس اليهود بعد

(١) الرها: إحدى مدن الجزيرة الفراتية، قرب حران، على الحدود السورية التركية، وهي من أكبر مدن الجنوب التركي، وتسمى (أروفة)، استولى عليها الصليبيون سنة٤٩١هـ/١٠٩٨م، ثم استردها المسلمون منهم سنة ٥٣٩هـ/١١٤٤م، انظر: السمعاني، الأنساب، ج٦، ص٢٠٣؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص١٠٦؛ يحيى شامي، موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص٣١٥ و٣١٦.

(٢)نصيبين: مدينة عند آمد وميافارقين، بناحية ديار بكر، وهي الآن تقع على الحدود بين تركيا وسوريا، وهي داخل الحدود التركية، تجاور مدينة القامشلي السورية، انظر: السمعاني، الأنساب، ج١٣، ص١١٥؛ محمد بن محمد حسن شراب، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، ط١، دار القلم، دمشق١٤١١هـ/١٩٩١م، ص٢٨٨.

(٣) سبرة بن فاتك الأسدي: أخوه خريم بن فاتك، صحابي شهد فتح دمشق، وتولى قسمة المساكن بين أهلها بعد الفتح، انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، ط١، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق١٤٠٢هـ/١٩٨٤م، ج٩، ص٢٠٤.

(٤) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج٩، ص٢٠٤.

(٥) الكنعانيون: أمة تفرع منها الفينيقيون والآموريون، وقد استقروا في المنطقة السورية والرافدين خلال الألفين الثالثة والثانية ق.م، انظر: لطفي عبد الوهاب، العرب في العصور القديمة، ط٢، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية(د.ت)، ص٦٠.

ذلك ممالكهم، ثم احتلها الآشوريون[١] بقيادة نبوخذ نصر[٢] فدمرها وشتت اليهود، ثم استولى الإسكندر المقدوني على فلسطين، وخلفه الرومان بعد ذلك[٣].

وأما مصر فقد عرفت بظهور الأسر الفرعونية منذ ٢٩٢٥ق.م، وتعرضت للغزو من قبل الفرس، والآشوريين، وغزاها الإسكندر المقدوني، ثم استولى عليها بعد ذلك الرومان والبيزنطيين، وبذلك انتشرت النصرانية، والتي في غالبيتها انتشرت على غرار نتائج مجامع نيقية، والقسطنطينية، وأفسس، والمجمع الخلقيدوني[٤].

وقد استمرت النصرانية بالشام ومصر تحت حكم الرومان إلى زمن الفتوحات الإسلامية ١٣هـ/٦٣٣م إلى ٢٢هـ/٦٤٢ م، وبقي جزء من أهلها تلك

(١) الأشوريون: من الساميين الذين سكنوا في شمال بلاد النهرين منذ الألف الثالث ق. م. ومدينتهم آشور التي نسبت لهم وتقع في الطريق بين سومر وأكد من جهة، وبين كردستان وأرض الجزيرة العليا من جهة أخرى، انظر: محمد أبو المحاسن عصفور ، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت(د.ت)، ص٣٧٢.

(٢) نبوخذ نصر: أو بُخت نصّر اسم الذي أطلقه مؤرّخو العرب على الملك نابو شانزار ملك بابل. خَلَف بختنصّر أباه نابوبولازار عام ٦٠٥ ق. م. وتابع خطّة التوسّع الإقليمي، واشتهر خاصة بحروب الإبادة التي شنها على اليهود الإسرائيليين فاستولى على بيت المقدس عام ٥٩٧ ق. م. وأخذ ملكهم يهو ياقيم أسيرًا إلى بابل، ونصب على فلسطين صدقيا، انظر: الأصفهاني، عماد الدين محمد، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، حاشية٧، ص٧٥.

(٣) أحمد معمور العسيري، موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر، ط١، (د.د)، (د.م)، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص٤٨٨.

(٤) حجازي، فايزة عبد الرحمن، أهل الذمة في بلاد الشام في العصرين الأيوبي والمملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، الأردن، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص٣٠ .

البلاد من الرومان والعرب والقبط وغيرهم على دينهم ورضوا بدفع الجزية وعاملهم المسلمون الفاتحون المعاملة التي أثرت على كثير منهم فدخل في الإسلام(١).

وفيما يتعلق بالتكوين السكاني زمن السلطان صلاح الدين الأيوبي من غير المسلمين فالوضع هو امتداد للعصور السابقة حيث تواجد أهل الذمة من اليهود والنصارى ببلاد الشام ومصر، إضافة إلى بقايا الوجود الصليبي بعد استرداد المدن على يد الزنكيين وصلاح الدين الأيوبي.

(١) العسيري، موجز التاريخ الإسلامي، ص ٤٧٦.

المبحث الثاني: العلاقة بين المسلمين وأهل الذمة من سكان مصر والشام.

هذه العلاقة يمكن تحديدها بالرجوع إلى دخول المسلمين بلاد الشام ومصر، وكيف تطورت، وماهي التغيرات التي طرأت وصولاً إلى عصر السلطان صلاح الدين الأيوبي.

فقد دخل المسلمون فاتحين ولديهم الشعور بأن تأمين الناس على أرواحهم وأموالهم هو أول ما يجب عليهم، وأن يعيش الناس في سلام.

ولذلك كانت كتب الصلح في البلاد المفتوحة يعطيها القادة لأهل المدن بالأمان على أنفسهم وأموالهم وأولادهم وكنائسهم ومعابدهم، إن هم دفعوا الجزاء(١).

وتختلف تفاصيل هذه الكتب بعضها عن بعض كعدم بناء الكنائس و عدم التشبه بالمسلمين وعدم حمل السلاح وغيرها(٢).

وكان غير المسلمين يمارسون أنشطتهم بحرية مقابل ما يدفعونه من ضريبة على التجارة الخارجية، وعلى الخراج المفروض، وهو نصف العشر(٣).

وفي الأنظمة الإدارية أقر المسلمون غيرهم من أهل الذمة وكتاب الدواوين على وظائفهم وعلى لغتهم السائدة، وقد استمر ذلك إلى عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان(٤).

---

(١) البلاذري، أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص١٣٢و١٣٣.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص١٧٢و١٧٤.

(٣) أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، الخراج، تحقيق : طه عبد الرءوف سعد ، وسعد حسن محمد، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة (د.ت)، ص١٣٦.

(٤) الماوردي، علي بن محمد، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الحديث، القاهرة(د.ت)، ص ٣٠١.

وفي العلاقات بين الطرفين كالعلاقات الاجتماعية فقد اندمج أهل البلاد مع المسلمين في أسواقهم وأعمالهم وقامت علاقات بين الطرفين تحكي بعض الاندماج يتضح ذلك من خلال القسمة التي حدثت في دمشق في المساكن بين المسلمين وغيرهم، حيث كان الرومي هو الذي يسكن في الأعلى والمسلم هو الذي يسكن في الأسفل، حتى لا يتضرر الذمي(١).

وفي عهد معاوية رضي الله عنه استخدم سرجون بن منصور الرومي على الديوان(٢).

وكان أهل الذمة هم الذين على الدواوين حتى عرب عبد الملك بن مروان الدواوين (٣).

وأنصف عمر بن عبد العزيز ذمياً من هشام بن عبد الملك حين ادعى الذمي أن هشاماً أخذ ضيعته فردها إليه عمر (٤).

ولم تكن الأمور على غير المسلمين صافية من الكدر، بل تخللها بعض الشوائب أحياناً ولفترة محدودة، كما حصل في المنع من التشبه بالمسلمين والمنع من حمل السلاح في حملة شملت كل نواحي بلاد المسلمين في خلافة يزيد بن عبد الملك وكذلك كسر التماثيل ومحو الصور من الكنائس وذلك طبيعيةً لنتائج

(١) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج٩، ص٢٠٤.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط٢، دار القلم، دمشق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ص٢٢٨.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص١٩٣.

(٤) سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزا وأغلي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق: محمد بركات وآخرون، ط١، دار الرسالة العالمية، دمشق وبيروت ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ج١٠، ص١٨٩.

العلاقات العدائية مع الدولة البيزنطية التي قامت بحملة قبل ذلك في بلاد الروم ضد المسلمين(١).

وفي بداية العصر العباسي كان هناك عين مشددة على الشام إثر زوال الدولة الأموية ولم يستثن من ذلك أهل الذمة، فقد انتقم الوالي العباسي صالح بن علي بن عبد الله العباسي عم الخليفة أبو جعفر المنصور في سنة ١٤١هـ/ ٧٥٩م من أهل جبل لبنان وبعلبك النصارى فشرد أهلها(٢).

وفي عهد هارون الرشيد عندما ساءت العلاقات مع البيزنطيين فأمر بهدم الكنائس في الثغور الشامية وفرض على النصارى في بلاد الشام خصوصاً إجراءات مشددة كمنع ركوب الخيل وتخصيص لباس خاص بهم وغيرها كل ذلك بسبب الامبراطور البيزنطي الذي أظهر العداوة للعباسيين على أن ذلك لم يستمر إثر تحسن العلاقات خاصة مع شارلمان(٣).

ثم إن أهل الذمة قد حضوا بقدر من الاهتمام والاحترام بعد ذلك خاصة عند الحديث عن مساهمتهم في نقل العلوم من اليونانية والسريانية، وما قاموا به من خدمات في مجال الطب في بيوت الأمراء ولا يقتصر الأمر على فئة معينة بل تشارك اليهود والنصارى في ذلك، وقد كان لليهود الحرية في بلاد الشام ومصر، فمارسوا دينهم بحرية تامة وكان يحجون بيت المقدس دون أن يعترضهم أحد

(١) ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، القاهرة (د.ت)، جـ١، ص٢٥٠.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص١٦٢و١٦٣.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، ط٢، دار التراث، بيروت ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م ، ج٨، ص٣٢٤.

وقد وصل أهل الذمة في العصر العباسي بشكل عام إلى مناصب عالية في مجالات الترجمة والطب(١).

وفي عصر الدولة العبيدية وقبل ظهور الدولة الأيوبية كان من سمات ذلك العصر أن أهل الذمة قد نالوا فيه سلطات واسعة وقد استطال بعضهم على المسلمين لما وجدوا الفرصة سانحة لهم(٢).

ومع ذلك لم يخل عهد الدولة العبيدية من مضايقات لأهل الذمة فقد مرت سنوات أجبروا فيها إما على الإسلام أو الرحيل إلى بلاد الروم، وهدمت أماكن عبادتهم(٣).

وتعد فتره الحروب الصليبية واحدة من أهم الجوانب التي يبحث فيها القارئ عن أحوال غير المسلمين في بلاد الشام ومصر، حيث أن الأحداث الدائرة بقوة لها أثر كبير على كل من المسلمين واليهود والنصارى، وتعد تلك الفترة التي صاحبت الحملات الصليبية والتي بدأت في سنة ٤٩١هـ/ ١٠٩٨م أي قبل ظهور الدولة الزنكية من الفترات التي نال فيها النصارى بشكل خاص جانباً من الانتقام من قبل سلطات الدولتين السلجوقية والعبيدية، ومارسوا ضدهم القوة لما

(١) ناصر خسرو، معين الدين ناصر خسرو المروزي، سفر نامه، تحقيق، يحيى الخشاب، ط٣، دار الكتاب الجديد، بيروت١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٥٥ و ٧٠ و٧٧ ؛ ابن العبري، غريغوريوس بن هارون، تاريخ مختصر الدول، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، ط٣، دار الشرق، بيروت١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص١٤٥.

(٢) ابن القلانسي، حمزة بن أسد، تاريخ دمشق، تحقيق: سهيل زكار، ط١، دار حسان، دمشق١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٥٦؛ ابن الأثير الكامل في التاريخ، ج٧، ص٤٤٠.

(٣) ابن أيبك الدواداري، أبو بكر بن عبد الله، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق: مجموعة من المحققين، حقق هذا الجزء: سعيد عبد الفتاح عاشور، الناشر عيسى البابي الحلبي، (د.م)١٣٩١هـ/١٩٧٢م، ج٧، ص٣٩؛ تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتيخاء، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، طرابلس١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص٢٨٧و٢٩٥و٣٠٣.

كان بعضهم أعوانا للغزاة، مع أن الصليبيين في ما بعد عاملوهم بمزيد من البطش حيث نظروا إليهم بمزيد من الاحتقار وعلى أنهم ليسوا منهم(١).

هذا وقد نال كل من اليهود والنصارى خاصة اليعاقبة منهم الذين كانوا يؤثرون حكم المسلمين على أيدي الصليبيين من الأذى والتهجير القسري، وتناقصت أعدادهم بشكل كبير في فلسطين والشام، وكانوا يتمنون حكم المسلمين الذين كانوا أرفق بهم(٢).

وسأل النصارى صلاح الدين الأيوبي الإقامة في القدس بعد الفتح وأن يدفعوا الجزية ويدخلوا في الذمة فأجابهم إلى ذلك(٣).

ويتحدث أسامة بن منقذ بأنه قد حصل بينه وبين الأرمن أهل المصيصة(٤) وطرطوس(٥) وأذنة(٦) مصادقة ومكاتبة لأسباب ذكرها في كتابه(٧).

(١) الشارتري فوشيه، تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة زياد العسلي، عمان، دار الشرق ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ج١، ص٧٠-٨٥.

(٢) ستيفن رنسيمان، الحروب الصليبية، ترجمة: نور الدين خليل، ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ج٢، ص ٣١- ٣٢.

(٣) العليمي، عبد الرحمن بن محمد، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يونس نباتة، مكتبة دنديس، عمان، (د.ت)، ج١، ص٣٣١.

(٤)المصيصة: مدينة قرب طرسوس، شرق أظنة على نهر جيحان، وتسمى قديماً: موبسيستيا، واليوم: يقبينار، انظر: ابن خرداذبه، عبيد الله بن عبد الله، المسالك والممالك، دار صادر أفست ليدن، بيروت١٤٠٩هـ/١٨٨٩م، ص٩٩؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص١٤٤و١٤٥؛ موستراس، المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، ترجمة: عصام محمد الشحادات، ط١، دار ابن حزم، بيروت١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص٤٦٤.

(٥) طرطوس: تقع غرب مدينة أضنة في تركيا، وهي مركز تجاري كبير، انظر: موستراس، المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، ص٣٤٨و٣٤٩.

(٦)أذنة: هي أظنة التركية اليوم، وتبعد عن البحر المتوسط حوالي ٢٥كيلو، انظر: موستراس، المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، ص٣٧..

(٧) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ص٢٠٢.

المبحث الثالث: علاقة المسلمين السياسية، والاجتماعية بأصحاب الإمارات الصليبية والمحاربين.

هذه العلاقات السلمية التي قامت بين طرفين متحاربين لا تعني السلم بمفهومه، ولكن مع العداوة التي هي الأصل فقد ظهرت علاقات سياسية واجتماعية سلمية على الجانبين الحكومي والمجتمعي، فقد أشارت بعض الروايات إلى قيام علاقات سلمية مع الإمارات الصليبية بعد مرور سنوات طويلة على المذابح الدموية التي شنها المحتل الصليبي، وقد تداخل السكان بعضهم ببعض بمرور الوقت، ونصت رواية إلى أن المسلمين (أصبحوا لا يخشون أحفاد هؤلاء القدامى)، كما قام المحتلون بعقد معاهدات من أجل العيش بأمان مع المسلمين، وكان بعض المسلمين يعمل كمرشد للحجاج من الفرنج وغيرهم، دلالة على وجود التعايش والاختلاط مع غيرهم [١].

ومن ذلك أن السلطان صلاح الدين خرج إلى حصن يقال له شقيف أرنون مما استولى عليه الفرنج، فخيم بالقرب، وأقام أياما يقاتل والعساكر تصل إليه، ولما تحقق لصاحب الحصن أنه لا طاقة له به، خرج بنفسه ولم يشعر به صلاح الدين إلا وهو قائم على باب خيمته، وكان من كبار الفرنج وعقلائهم، ويعرف العربية، وعنده اطلاع على العلوم والمعارف، فأكرمه السلطان صلاح الدين، وأخبره صاحب الحصن بأنه سوف يسلم إليه المكان من غير تعب على أن يعطى موضعا يسكنه بدمشق، وإقطاعا بها يسكن به هو وأهله، فأجابه إلى ذلك[٢].

---

(١) أديل سليمان وهيبي وآخرون، العلاقات بين المسلمين والفرنج خلال فترة الحروب الصليبية، مجلة التربية، جامعة الأزهر، كلية التربية، ع ١٦٨، ج٤، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م، ص٥٦٤.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٦٥.

وجاءت امرأة من الصليبيين إلى صلاح الدين تشتكي إليه أخذ ابنها على أيدي لصوص في جانب المسلمين فأمر بإعادة ابنها، ثم أعادها هي وطفلها إلى معسكر الصليبيين(١).

ووصف ابن جبير في رحلته العلاقات بين المسلمين والفرنج (أن النصارى المجاورين لجبل لبنان إذا رأوا بعض المنقطعين من المسلمين جلبوا لهم القوت وأحسنوا إليهم). وكانت التجارة من مصر إلى الشام تمر على الإمارات الصليبية ولا تكاد تنقطع، وتجارة المسلمين من دمشق إلى فلسطين كذلك، وأيضاً فإن تجار النصارى لا يعترض لهم أحد غالباً، وكانوا مشغولين بتجارتهم مع جانب أن الحرب قائم(٢).

وهذا بالتأكيد ليس طوال فترة الوجود الصليبي بل كانوا يعتدون على القوافل التجارية فقد اعتدوا على قوافل تجارية متوجهة من دمشق إلى مصر، وقوافل مصرية متوجهة إلى الشام واستولوا على ما فيها من الأموال وأسروا الرجال وذلك في سنوات متعددة من أشهرها سنة ٥٨٢هـ(٣).

ويورد ابن جبير نصاً عجيباً في العلاقات فيقول: (ومن أعجب ما يُحدَّث به أن نيران الفتنة تشتعل بين الفئتين مسلمين ونصارى، وربما يلتقي الجمعان ويقع المصاف بينهم ورفاق المسلمين والنصارى تختلف بينهم دون اعتراض عليهم) (٤).

---

(١)ابن شداد، يوسف بن رافع، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين الأيوبي)، تحقيق: الدكتور جمال الدين الشيال، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة١٤١٥هـ-١٩٩٤م ، ص٢٣٩.

(٢) ابن جبير، محمد بن أحمد، رحلة بن جبير، دار الهلال، بيروت (د.ت)، ص٢٤.

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٢، ص٦٦٩؛ القلانسي، تاريخ دمشق، ص٢٩١ و٤٣٩.

(٤) ابن جبير، الرحلة، ص٢٣٤.

وقد ذكر أسامة بن منقذ في كتابه الاعتبار إشارات كثيرة تدل على قيام علاقات صداقة بينه وبين الفرنج ومن ذلك أنه كان في عسكر الصليبيين أحد الملوك وهو فارس من فرسانهم وأنه صار ملازم له ويدعوه بالأخ وأصبح بينهم مودة وأنه طلب من أسامة أن يأخذ ابنه معه لبلاد الفرنج ولكن أسامة أبى عليه(١).

ويقول في موضع آخر: (فكنت إذا دخلت المسجد الأقصى وفيه الداوية وهم أصدقائي، يخلون لي ذلك المسجد الصغير أصلي فيه)(٢).

ويقول: (أنني نفذت صاحباً إلى أنطاكية في شغل، وكان بها الرئيس نادرس بن الصفي وبيني وبينه صداقة) (٣).

ويعلق بأن أحد أمراء الفرنج طلب من عمه طبيباً يداوي أصحابه فأرسل إليه طبيباً نصرانياً يعالج مرضاهم وقص عنهم في الطب قصصاً تبين جهلهم واستقدم ملك بيت المقدس طبيباً من مصر لمعالجة ابنه وقد لجأوا إلى أطباء بلاد المسلمين لانعدام الخبرات الطبية التي يمتلكها الإفرنج (٤).

وخلال الفترة الزمنية الطويلة التي قضاها الغزاة في الشام تغيرت طباع أولادهم فكانوا أقل تعصبا من الأوائل وكان للجوار مع المسلمين أثر في التهذيب أدى إلى خلق علاقات اقتصادية وتجارية مع المسلمين(٥).

(١) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ص١٣٢ .

(٢) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ص١٣٤.

(٣) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ص١٤٠ .

(٤) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ص١٣٢ و١٣٣ .

(٥) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ص١٤٠ .

وقد لجأ المسلمون والفرنج إلى استعمال لغة جديدة في التخاطب فيما بينهم وظهرت كلمات جديدة بمزيج من اللغات، وحصل التزاوج فيما بينهم، واشتركوا في المزارع والحرث [١].

وبالجملة فهذه العلاقات لا تعمم على طوال فترة الحروب الصليبية بل هي بالتأكيد أقل وأقصر من فترة الحرب التي هي سمة ذلك العصر، والقارئ للتاريخ يستقرئ ما حصل من الحروب والدماء والأسر، والعداوات، والحصار وأنواع المآسي التي حلت بكل طرف، وما كانت حالة التسامح والاعتدال التي جرت بين الطرفين ألا نتيجة حاجة كل طرف للآخر.

(١) الشارتزى، تاريخ الحملة إلى القدس، ص٢١٨.

المبحث الرابع: أثر التعايش وتطوره.

أثمر بعض التعايش بين المسلمين وأهل الذمة في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي خاصة أن دخل جزء منهم في الإسلام لحسن التعامل، سواءً على صعيد العامة أو على صعيد الخاصة فهذا ابن المطران أسعد بن إلياس بن جرجس بن المطران أبو نصر موفق الدين طبيب صلاح الدين وطبيب أولاده وأسرته، وشيخ الأطباء بالشام وأمير زمانه في صناعة الطب(١)، ولد ونشأ في دمشق تحت رعاية والده الذي كان نصرانياً، فتوسع الابن في دراسة الطب وأبدع حتى وصل إلى الرئاسة في البيمارستان(٢)، وزاول مهنة الطب لدى السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي، وارتفعت مكانته حتى أصبح بمقام الحاجب، وكان له خيمة ينصبها تضاهي خيمة صلاح الدين الأيوبي(٣)، وكان يقضي حوائج الناس ويصف لهم الدواء ويعتني بمرضاهم أشد العناية (٤)، وكان صلاح الدين

(١) عماد الدين الأصبهاني، محمد بن محمد، الفتح القسي في الفتح القدسي، ط١، دار المنار، القاهرة١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص٣٠١ ؛ أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل الدمشقي، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم الزيبق، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ج٤، ص٢٩٣؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٦٥١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، جـ٤١، ص٢٦٣.

(٢) البيمارستان: لفظ فارسي، مكون من كلمتين(بيمار) وتعني المريض أو العليل، و(ستان) وتعني الدار أو الموضع، انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ط٣، دار صادر، بيروت ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ج٦، ص٢١٧؛ الزبيدي، محمد بن محمد، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج وآخرون، ط١، مطبعة حكومة الكويت، الكويت ١٣٨٥–١٤٢٢هـ/ ١٩٦٥–٢٠٠١م، ج١٦، ص٥٠٠، و ج٣٦، ص١٦٧؛ إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة، د.ت، ج١، ص٧٩.

(٣) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٦٥٢.

(٤) ابن العماد، عبد الحي بن أحمد العكري الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، ط١، دار ابن كثير، دمشق وبيروت١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ج٦، ص٤٧٤.

الأيوبي يقدمه ولا يفارقه في الحضر والسفر، وأغدق عليه المال[١]، وقد امتاز على أهل الطب في عصره مقرباً من الناس وأثمر ذلك أن دخل في دين الإسلام فأسلم ودفن مع المسلمين سنة خمسمائة وسبع وثمانين (٥٨٧هـ/١١٩١م)[٢].

وأما الكاتب أسعد بن مهذب بن زكريا بن مماتي، الكاتب المعروف، وهو نصراني من نصارى صعيد مصر، ومن أهل بيت عريق في الكتابة ووالده المهذب كان كاتب ديوان الجيش بمصر في آخر أيام الدولة العبيدية، وأيام الأيوبية، أسلم هو وأولاده على يد السلطان صلاح الدين فأحسن إليهم، وزاد في ولاياتهم[٣].

وكان أبو النجم النصراني: طبيباً مشهوراً، وله معرفة كبرى في صناعة الطب، وكانت طريقته في العلاج مشهورة لأجلها أحبه الناس، ولها أثر في النفوس، ومن الآثار أنه أصبح معلماً مبرزاً يقرأ عليه طلابه الكتب، وخدم في بلاط صلاح الدين الأيوبي، ومات في دمشق سنة ٥٩٩هـ/١٢٠٣م[٤]

ومن أجمل ما يذكر في وصف أثر التعايش بين الطرفين ما سطره أسامة بن منقذ عن تأثر العدو بالمسلمين حيث يقول (من الإفرنج قوم قد تبلدوا وعاشروا المسلمين فهم أصلح من القريب العهد ببلادهم) [٥].

(١) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٦٥٢ ؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، جـ٩، ص ٥٠٧.

(٢) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٦٥٢؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، جـ٩، ص٢٦.

(٣) ابن الشعار، كمال الدين المبارك، قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، المشهور بـ عقود الجمان في شعراء هذا الزمان، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، ط١، دار الكتب العلمية بيروت١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ج١، ص٣٦٩.

(٤) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٦٦١.

(٥) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ص١٣٤ و ١٤٠.

وهو دليل بالغ على تأثير المسلمين على الفرنج وأن هذا التأثير أدى إلى تغير طباعهم وتهذيبها بعكس الذين لم يخالطوا المسلمين، أو ممن هو حديث العهد بأوروبا.

ومما ناله تأثير المسلمين على الفرنج تأثرهم بالحياة الاجتماعية والعادات، والاهتمام بالنظافة الشخصية، والحالة المعيشية، وصولاً إلى التقليد في البناء حيث أخذوا يشيدون بيوتهم محاكاة للطراز الإسلامي المتمثل في وجود الفناء بالبيت، الزخارف الإسلامية، وطريقة النقوش والأقواس، والأعمدة، ونوع الأثاث من سجاد شرقي وأواني منزلية، وإضاءات بالشموع وغيرها(١).

وحصل التأثر بالمسلمين في الهيئة واللباس فلبسوا العمامة وأطلق بعضهم لحيته، ولبست نساؤهم مثل لباس المسلمات، حتى النقاب، والحرير، وأصباغ الوجه، وأظهرن الاهتمام بالعناية الشخصية (٢).

وتأثر بعض الفرنج بالمسلمين في كعدم أكل لحم الخنزير، وخالطوهم كما حصل في حادثة مع أسامة بن منقذ نفسه، واتخذوا طباخين من أهل الشام ومصر في مطابخهم تأثراً بالمسلمين(٣).

وتأثروا بالمسلمين في استخدام الحمامات بشكل كبير للاستحمام والنظافة الرجال والنساء وقد أشار أسامة بن منقذ إلى نماذج متعددة لتأثرهم بالمسلمين في استخدام الحمامات(٤).

وتأثروا بالمسلمين في مجالات الزراعة وبعض الصناعات كالزيوت والصابون وقاموا بنقل بعض المنتجات الزراعية إلى بلادهم كالسكر والليمون وغيرها(٥).

(١) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ص١٣٢ و١٤٠؛ أديل سليمان وهيبي وآخرون، العلاقات بين المسلمين والفرنج، ص٥٦٧.

(٢) أديل سليمان وهيبي وآخرون، العلاقات بين المسلمين والفرنج، ص٥٦٧.

(٣) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ص١٤٠.

(٤) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ص١٣٦ و١٣٧.

(٥) أديل سليمان وهيبي وآخرون، العلاقات بين المسلمين والفرنج، ص٥٦٨.

المصادر والمراجع

أولاً المصادر:

ابن الأثير، علي بن محمد، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

ابن الشعار، كمال الدين المبارك، قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، المشهور بـ عقود الجمان في شعراء هذا الزمان، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، ط١، دار الكتب العلمية بيروت١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

ابن العبري، غريغوريوس بن هارون، تاريخ مختصر الدول، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، ط٣، دار الشرق، بيروت١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

ابن العماد، عبد الحي بن أحمد العكري الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، ط١، دار ابن كثير، دمشق وبيروت١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

ابن القلانسي، حمزة بن أسد، تاريخ دمشق، تحقيق: سهيل زكار، ط١، دار حسان، دمشق١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٥٦؛ ابن الأثير الكامل في التاريخ.

ابن أيبك الدواداري، أبو بكر بن عبد الله، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق: مجموعة من المحققين، حقق هذا الجزء: سعيد عبد الفتاح عاشور، الناشر عيسى البابي الحلبي، (د.م)١٣٩١هـ/١٩٧٢م.

ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، القاهرة (د.ت).

ابن جبير، محمد بن أحمد، رحلة بن جبير، دار الهلال، بيروت (د.ت).

ابن خرداذبه، عبيد الله بن عبد الله، المسالك والممالك، دار صادر أفست ليدن، بيروت١٤٠٩هـ/١٨٨٩م.

ابن شداد، يوسف بن رافع، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين الأيوبي)، تحقيق: الدكتور جمال الدين الشيال، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

ابن منظور، محمد بن مكرم، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، ط١، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق١٤٠٢هـ/١٩٨٤م.

ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ط٣، دار صادر، بيروت ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل الدمشقي، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم الزيبق، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، الخراج، تحقيق : طه عبد الرءوف سعد ، وسعد حسن محمد، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة (د.ت).

الأصفهاني، عماد الدين محمد، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

الأصفهاني، عماد الدين محمد بن محمد، الفتح القسي في الفتح القدسي، ط١، دار المنار، القاهرة١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

البلاذري، أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتيخاء، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، طرابلس١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط٢، دار القلم، دمشق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

الذهبي محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام ووفيات الأعيان، تحقيق: عبدالسلام تدمري، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤١٣هـ/١٩٩٣.

الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

الزبيدي، محمد بن محمد، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج وآخرون، ط١، مطبعة حكومة الكويت، الكويت ١٣٨٥–١٤٢٢هـ/ ١٩٦٥–٢٠٠١م.

سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزا وأغلي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق: محمد بركات وآخرون، ط١، دار الرسالة العالمية، دمشق وبيروت ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

الشارترى فوشيه، تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة زياد العسلي، عمان، دار الشرق ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، ط٢، دار التراث، بيروت ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

العليمي، عبد الرحمن بن محمد، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يونس نباتة، مكتبة دنديس، عمان، (د.ت).

العليمي، عبد الرحمن بن محمد، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يونس نباتة، مكتبة دنديس، عمان، (د.ت).

الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط٨، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

القفطي، علي بن يوسف، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

الماوردي، علي بن محمد، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الحديث، القاهرة(د.ت).

المقريزي، أحمد بن علي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

المناوي، محمد عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، ط١، عالم الكتب، القاهرة ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

ناصر خسرو، معين الدين ناصر خسرو المروزي، سفر نامه، تحقيق، يحيى الخشاب، ط٣، دار الكتاب الجديد، بيروت١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

ياقوت، ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، ط٢، دار صادر، بيروت ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

ثانياً المراجع:

أحمد مختار عبد الحميد عمر، وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط١، عالم الكتب، القاهرة١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م

أحمد معمور العسيري، موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر، ط١، (د.د)، (د.م)، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

أديل سليمان وهيبي وآخرون، العلاقات بين المسلمين والفرنج خلال فترة الحروب الصليبية، مجلة التربية، جامعة الأزهر، كلية التربية، ع ١٦٨، ج٤، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.

حجازي، فايزة عبد الرحمن، أهل الذمة في بلاد الشام في العصرين الأيوبي والمملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، الأردن، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

ستيفن رنسيمان، الحروب الصليبية، ترجمة: نور الدين خليل، ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

عبد الغني أبو العزم، معجم الغني، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، كلمة رقم٦٧٩٤ .

لطفي عبد الوهاب، العرب في العصور القديمة، ط٢، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية(د.ت).

محمد أبو المحاسن عصفور ، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت(د.ت).

محمد أبو المحاسن عصفور، معالم حضارات الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، لبنان ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

محمد بن محمد حسن شراب، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، ط١، دار القلم، دمشق١٤١١هـ/١٩٩١م.

محمود عبد الرحمن عبد المنعم، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، دار الفضيلة، القاهرة(د.ت).

موستراس، المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، ترجمة: عصام محمد الشحادات، ط١، دار ابن حزم، بيروت١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

ويليام جيمس ديورانت، قصة الحضارة، تقديم وترجمة: محيي الدين صابر وزكي نجيب وآخرين، دار الجيل، بيروت، والمنظمة العربية للتربية والثقافة، تونس١٤٠٨هـ /١٩٨٨م.